﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩﴾ [الأنعام: 9]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تعليل سببِ بَوارِ منطقِهم

لمّا اقترحَ المُشركون بقولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾، قال ابنُ عبّاسٍ: "قالوا: يا محمَّدُ ﷺ، لن نؤمن لك حتَّى تأتينا بكتابٍ من عند اللّهِ، ومعه أربعةٌ من الملائكةِ، يشهدون أنَّه من عندِ اللّهِ وأنَّك رسولُهُ"[1]؛ جاءت هذه الآيةُ ردًّا على قولِ من قال منهم هذا الكلامَ، فبيَّنتِ الآيةُ: أنَّ اللّه لو أنزلَ ملكًا؛ لظهرَ لهم بزيِّ رجلٍ، فلا يعرفونَهُ أنَّه ملكٌ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: جذر الكلمةِ هو (جعل)؛ وهو لفظٌ عامٌّ في الأفعال كلِّها، وهو أعمُّ من فعل (صنع)[2]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: 1]، أي: خلقَهُما. و﴿وَجَعَلَ﴾ في الآية بمعنى: صيَّر، المقتضي تصييرَ شيءٍ آخر، أو تعويضه به[3].

2) ﴿وَلَلَبَسۡنَا﴾: جذرُ الكلمةِ هو (لَبَس): من لَبَس يَلْبِس، واللَّبْسُ: خَلط الأمور بعضِها ببعضٍ؛ إذا التَبَسَت، يُقال: لبستُ عليه أمره، قال: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 42]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: 82][4]، والأصل الثّاني لهذه المادَّةِ هو اللِّباسُ: وهو ما وارَيتَ به جَسَدَك، من: لَبِسَ يَلبَس، ومنه: اللَّبوسُ: الدِّرع، وكلُّ ما تَحَصَّنتَ به، ولباسُ التَّقوى: الحَياءُ، وجعل التَّقوى

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/441.
(2) الراغب، المفردات: (جعل).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/145.
(4) الراغب، المُفردات: (لبس).

لباسًا على طريقِ التَّمثيلِ والتَّشبيهِ، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الأعراف: 26]. ومعنى اللِّبس هنا: خلطٌ يعرض في الصِّفاتِ والمعاني، بحيث يعسرُ تمييزُ بعضِها من بعض.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إبطالُ مَطلَبِ المشركين، في بَعْثِ الرَّسولِ على صُورةِ مَلَكٍ أمينٍ

يردُّ اللّٰهُ تعالى على المشركينَ مقترحَهُم؛ إذ لو جُعِلَ الرَّسولُ المرسلُ إليهم مَلَكًا - كما اقترحوا - لصُيِّرَ في صورةِ رجلٍ، وهو أمر يسير على الله تعالى؛ حتى يستطيعوا السَّماعَ منه ومخاطبتَه؛ لأنَّ النّاسَ لا طاقةَ لهم على رؤيةِ المَلَكِ في صورتهِ الملائكيَّةِ، فلو جعل اللّٰهُ الرَّجلَ المرسلَ إلى البشر ملكًا؛ لفرّوا من مقاربتهِ وما أنِسوا به، ولداخلهم الرُّعبُ من كلامِه، فلا تتحقَّقُ المصلحةُ والانتفاع بالرِّسالة، ولو نقلَ اللّٰهُ الرَّسولَ الملائكيّ الذي افترضوه عن صورةِ الملائكةِ إلى مثلِ صورتهِم لاشتبهَ الأمرُ عليهم، كما اشتبهَ عليهم أمرُ محمَّد ﷺ، ولقالوا: لستَ مَلَكًا، وإنَّما أنت بشرٌ[1].

وتُرشِدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ الرَّسولَ ينبغي أن يكونَ من نوعِ المرسَل إليهم، كما أشارَ تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥﴾ [الإسراء: 95][2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ التَّرقِّي في إجابةِ طلبِهم، بإنزالِ مَلَكٍ بالرّسالةِ:

القُدراتُ البشريَّةُ قاصرةٌ عن إدراكِ الغيبِ، دونَ إيمانٍ ولا وحْيٍ

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾ عُطِفَ على قوله: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأنعام: 8]، فهو جوابٌ ثانٍ عن مقترحهم، فيه ارتقاءٌ في الجوابِ، فكان الأوَّلُ اقتراحَ إنزال المَلَك على هيئتهِ

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/425، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/242.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 2/218.

الحقيقيَّةِ، والثّاني: إنزالَ المَلَكِ بما يناسب حالةَ المخاطبين، فيكون مثلَهم؛ لأنَّ الإنسانَ عن الإنسانِ أفهمُ، وطباعَهُ بطباعِهِ آنسُ، وعلى قدرِ ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه[1]، فيكونُ بهيئةِ رَجُلٍ، وهذا ما يستدعي اللَّبسَ عليهم مرَّةً أخرى.

ومقترحُهُم يستلزمُ الاستغناءَ عن بعثةِ رسولٍ من البشرِ؛ لأنَّه إذا كانت دعوةُ الرَّسولِ البشريِّ غير مقبولةٍ عندهم، فقد صار مجيءُ رسولٍ بشريٍّ إليهم، غير مجدٍ للاستغناءِ عنه بالمَلَكِ الَّذي يُصاحِبُهُ، على أنَّهم صرَّحوا بهذا اللّازم فيما حُكي عنهم في غيرِ هذه الآيةِ، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [فصّلت: 14]، فجاء هذا الجوابُ الثّاني صالحًا لردِّ الاقتراحين[2].

سِرُّ إيثارِ استخدامِ الجُملةِ الشَّرطيَّةِ بأداةِ الشَّرطِ ﴿لَوۡ﴾:

امتناعُ حُصولِ مقترحِ إرسالِ المَلَكِ، صونٌ للبشريَّةِ من الهَلَاكِ

وقد اصطَفَى النَّظمُ الكَريمُ الجُملةَ الشَّرطيَّةَ بأداةِ الشَّرطِ ﴿وَلَوۡ﴾، وهو حرفُ امتناعٍ لامتناعٍ في الجَوابَين، وهو الأنسَبُ؛ لأنَّه يقيمُ الجوابَ على امتناعِ حصولِ ما يطلبون، إمّا صونًا لهم عن الهلاكِ التّامِ ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾ [الأنعام: 8]، وفي هَلاكِ هؤلاءِ وأمثالهم هلاكٌ للبشريَّةِ وانحسارٌ لها، وفي ذلك حكمة إلهيَّةٌ عظيمةٌ، وإمّا لعدمِ حصولِ اليقينِ بالتَّلبيسِ الَّذي يَصونُهم أيضًا مِنَ الهَلاكِ لو حَصَلَ ما طَلَبوا كما أرادوا.

ثَراءُ موقعِ الضَّميرِ، في ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ﴾ ... ﴿لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾:

الضَّميرُ له أثرٌ بالغٌ في سَعَةِ المعنى وإيجازِ اللَّفظِ

إن عادَ الضَّميرُ للمطلوبِ (الملك)؛ فهو جوابٌ ثانٍ، وإن عاد الضَّميرُ للرَّسولِ، فهو اقتراحٌ ثانٍ، فإنَّهم تارةً يقولون: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾، وتارةً يقولون: ﴿لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [فصّلت: 14]، والمعنى: ولو جعلنا قرينًا لك مَلَكًا يُعاينونه، أو الرَّسولَ ملكًا لمثَّلناهُ

(1) الجاحظ، كتاب الحيوان: 1/35.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/145.

رجلًا، كما مَثُلَ جبريلُ - عليه السلام - في صورة الصَّحابيِّ دِحيَةَ الكلبيِّ أمام النَّبي ﷺ؛ فإنَّ القوَّة البشريَّة لا تقوى على رؤية المَلَكِ في صورتِه الحَقيقيَّةِ التي خَلَقه الله عليها، وإنَّما رآهم كذلك الأفرادُ مِنَ الأنبياءِ - عليهم الصلاة والسلام - بقوَّتهم القُدسيَّة[1]، فشملَ موقعُ الضَّميرِ الحالتين المذكورتين في القرآنِ مع إيجازٍ وبلاغةٍ.

نُكتةُ تَفصِيل الحِكمَةِ في جَعْلِ المرسَلِ بالوحْيِ، رَجُلًا لا مَلَكًا:

لا يُحَقِّقُ المَلَكُ الرَّسُولُ رُوحَ الرِّسَالَةِ وغَايَتَهَا

وحكمةُ جعلِ المَلَكِ المُقترحِ لأداءِ الرِّسالةِ رجُلًا؛ لعلمِه سبحانه بعدمِ إمكانِ أداءِ الرِّسالةِ إلّا أن يكون الرَّسولُ رجُلًا؛ لاختلاف جنسِ النّاس عن جنسِ الملائكةِ، ثمَّ إنَّه لو جعله ملكًا على حقيقتِه؛ فلعلَّ ذلك يكون سببًا في هلاكِهم خوفًا أو قهرًا أو طبيعةً، ثُمَّ إنَّ أصلَ الرِّسالةِ وقبولَها كونُها طواعيَّةً لا عنوةً أو جبرًا، ولو شاء اللّهُ لخلقَ النّاس مجبرين على الإيمانِ، ولو أنَّه أنزل ملكًا رسولًا؛ لهابهُ النّاس وآمنوا به ظاهرًا، ولانشغلَ النّاس بإخفاء ما في دواخلِهم من الكُفرِ والنِّفاقِ، وأظهروا الإيمانَ لرسولهم المَلائكيِّ وقايَةَ بَطشِه، وهكذا فلا يُحقِّق المَلَكُ الرَّسولُ روحَ الرِّسالةِ، وهي الإيمانُ بالطَّواعيَّةِ، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

بلاغةُ التَّشبيهِ البليغِ، في قوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾:

قوّةُ الشَّبَهِ بين الطَّرَفيْن تُوهِمُ أنَّهما واحدٌ، وهما مُنفكّان عقلًا وواقعًا

قولُه: ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾؛ أي: لجعلناهُ في صورةِ رجلٍ[2]، فيلبس عليهم كونه ملكًا، فقالوا: كيف يكونُ المَلَكُ رجلًا[3]؟ فحذف وجه الشَّبهِ وأداة التَّشبيهِ، فهو تشبيهٌ بليغ، دلَّ على قوَّةِ الشَّبهِ الموهِمَةِ عدمَ تحقُّق المطلوبِ، وقد آثرَ النَّظمُ الكريمُ: ﴿رَجُلًا﴾ على بشرٍ؛ إيذانًا بأنَّ الجعْلَ بطريقِ التَّمثيلِ، لا بطريقِ قلبِ الحقيقةِ، وفيه

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/155.
(2) مجاهد، تفسير مجاهد: 1/319.
(3) سفيان الثوري، تفسير سفيان الثّوري: 1/106.

تعيينٌ لما يقعُ به التَّمثيلُ[1]، كما أنَّ في التَّشبيهِ البليغِ بيانًا لرحمتِهِ - تعالى - بخلقِهِ.

سِرُّ ترتيبِ الضَّميرَيْنِ وتَكْرارِ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾، في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

المناسبةُ التَّامَّةُ بين الأسلوبِ والمعنى المرادِ، من بلاغةِ البيانِ المستفادِ

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾: روعي في تركيبِ اللّفظ ما يناسبُ المعنى الثّاني لكلامِهم، فمعنى: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ الأولى: اخترنا، ومعنى ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ الثّانية: صيَّرنا أو صوَّرنا، أي: لو اخترنا رسولًا إليهم ملكًا؛ لتعيَّن أن نصوِّرَ ذلك المَلَكَ بصورة رجلٍ ليطيقوا رؤيتَه وخطابَه، وقد أحاطَ بالكلمتين سياقٌ واضحٌ في تحديدِ المرادِ من اللَّفظتين، ولم يقلِ النَّظْمُ: ولو اخترناه ملكًا لصيَّرناهُ رجلًا، وإنَّما جاء كذلك تناسبًا مع ما ينتجهُ مقترحُهم مِنَ اللَّبْس والخلطِ عليهم، فشاكلَ اللَّفظَ المرادَ؛ إذ يوهم عند بادِهِ النَّظرِ أنَّ معنى اللَّفظَتين واحدٌ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّشبيهِ الضِّمنيِّ، في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾:

تمامُ الحُجَّةِ قاطعٌ، في عدمِ تحقيقِ مطلوبِهم التَّعجيزيِّ المتوهَّمِ

"جملة ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ من تمام الدَّليلِ والحجَّةِ عليهم بعدم جدوى إرسال المَلَك[2]، والجملةُ تشبيهٌ ضمنيٌّ؛ إذ يفهمُ المشبَّهُ والمشبَّهُ به ضمنًا لا صراحةً، والمعنى: للبسنا عليهم لبسًا كالَّذي يلبسونهُ على كون الرَّسولِ بشرًا، وورودُ التَّعبيرِ على صورةِ التَّشبيهِ الضِّمنيِّ هو الألصقُ والأبرُّ بالمعنى المقصود؛ لما في التَّلبيس من خفاءِ وجهِ المراد، وتعدُّدِ الاحتمالاتِ، قال أبو حيان: أو كان يحصلُ التَّلبيسُ لاعتقادِهم أنَّ الملائكةَ إناثٌ، فلو رأوه في صورةِ رجلٍ حصل التَّلبيسُ عليهم كما حصلَ منهم التَّلبيسُ على غيرِهم"[3].

"أي: وللَبَسْنا عليهم لَبْسَهُم الَّذي وقعَ لهم حين قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 4/320.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/145.
(3) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/443.

عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾، أي: مثل لبسِهم السّابق الَّذي عَرَضَ لهم في صدق محمَّدٍ ﷺ [1]، ولخلَطنا عليهم ما يخلطون على أنفسِهم حينئذٍ، فإنَّهم سيقولون: إذا رأوا المَلَكَ في صورةِ إنسانٍ: هذا إنسانٌ وليس بمَلَكٍ[2].

ردُّ ما قيلَ في قولهِ تعالى: ﴿عَلَيْهِم﴾، بأنَّ المَعنَى في أهلِ الكِتَاب:

سـيـاقُ الآيـةِ يشملُ جميعَ الـمُـنـاوِئـين، وهو لكفَّارِ مكَّةَ خاصَّةً

عند قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾: قال الضَّحّاك: يعني أهلَ الكتابِ؛ لأنَّهُم غيَّروا صفةَ النَّبي ﷺ في كتابهِم، وعَصَوا ما أمروا به، وقال الكسائيُّ: يُقال لبستُ عليهم الأمْرَ ألبسُهُ لَبسًا؛ إذا خلطْتُهُ، أي: أشكلْتُهُ[3]، وأورد الطَّبريُّ قولَ الضَّحّاكِ: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾، يعني: التحريفَ، هم أهل الكتاب، فرَّقوا كُتُبهم ودينَهم، وكذَّبوا رسلهم، فلبَّس اللّهُ عليهم ما لبَّسوا على أنفسهم[4].

وقد ورد في معنى اللَّبسِ كثيرٌ من الآياتِ في أهلِ الكتابِ وتحريفهِم للكِتابِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: 42]، ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [آل عمران: 71]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: 82]، ويقال: في الأمرِ لُبْسَةٌ، أي: التباسٌ، ولابَسْتُ الأمر؛ إذا زاولْتُهُ، ولابَسْتُ فلانًا: خالطْتُهُ[5].

والمعنى المستفادُ من سياقِ الآيةِ عامٌّ، وهو شاملٌ لجميعِ المُعارضين، لكنَّه يخصُّ كفّارَ مكَّةَ أكثرَ من غيرهِم، فهم من أنكرَ الرِّسالَةَ، وهم مَنْ كذَّبَ رسولَ الله ﷺ بحجَّةِ أنَّهُ بشرٌ مثلهم، فاشترطوا أن يكون الرَّسولُ ملكًا، كما اشترطوا من قبل لإيمانهِم آياتٍ مقترحاتٍ؛ ليصدِّقوا بالرِّسالة وبالرَّسول.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/146.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/8.
(3) النّحّاس، معاني القرآن: 2/403.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 11/271.
(5) الراغب، المفردات، ص: 735.

بلاغةُ الاحتِباكِ، في قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

إرخـاءُ العِنانِ للخصمِ، إلجاءٌ لـه لـيُـسَـلِّـمَ بالحقِّ

وفي الكلام احتباكٌ عند ابن عاشور؛ لأنَّ كلا اللّبسَين هو بتقديرِ اللهِ تعالى؛ لأنَّه حرمَهُم التَّوفيقَ، فالتَّقديرُ: (وللبسْنا عليهم في شأنِ المَلَكِ ما يَلْبَسونَ على أَنْفُسِهم في شَأْنِ رسالةِ محمَّدٍ ﷺ، وهذا الكلامُ كلُّه منظورٌ فيهِ إلى حملِ اقتراحِهم على ظاهرِ حالِه من إرادتِهم الاستدلالَ، فلذلك أجيبوا عن كلامِهم إرخاءً للعنان، وإلّا فإنَّهم ما أرادوا بكلامِهم إلّا التَّعجيزَ والاستهزاءَ، ولذلك عقبَهُ بقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية[1]، فدلَّ على ذلك، ودلَّ كذلك على أنَّ مقترحَهم لم يكن نتاجَ شديدِ حرصِهم على طلبِ الإيمانِ، وإنَّما من منطلق الاستهزاءِ والتَّعجيزِ.

غرضُ طريقةِ الالتفاتِ الفعليِّ، في قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

تناسخُ الأفكارِ والأفعـالِ، ملمحٌ لِلْفَشَلِ والاضمحلالِ

التفتَ من الماضي إلى المُضارع بين ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾ و﴿يَلْبِسُونَ﴾، فجعلَ ما سيكونُ مستقبلًا في صيغة الماضي لما فيهِ من يقينِ التَّحقُّق، وأن لا احتمالَ سوى ذلك، فالتفتَ في الفعلِ مِنَ الماضي إلى المُضارع في قوله: ﴿يَلْبِسُونَ﴾، ودلالةُ هذا الفعلِ على التَّجدُّد والاستمرار هو دليلٌ واضحٌ على إصرارِهم في محاولاتِ تعجيزِهم للرَّسول، ومحاولاتِ الاستهزاءِ، وتجدُّدِ المقترحاتِ والأفكارِ في ذلك.

معنى ﴿مَّا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾:

تناسُبُ إبهَامِ (مـا) مَـع إبهَامِ اللَّبسِ عليهِم، مـن بـلاغـةِ السّياقِ

(ما) اسمٌ موصولٍ بمعنى (الذي)، أي: ولَلَبَسْنا عليهم الذي كانوا يَلبِسون على أنفسِهم، وتقع (ما) على ذواتِ ما لا يعقلُ، وعلى صفاتِ من يعقلُ، وقوله: ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾ هي مثالُ الأوَّلِ، وهي مبهمةٌ تقعُ على كلِّ شيءٍ، جاء في بدائعِ الفوائدِ: "أن (ما) اسمٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/146.

مبهمٌ في غاية الإبهام، حتى أنَّها تقعُ على كلِّ شيءٍ، وتقعُ على ما ليس بِشَيءٍ، ألا تراك تقول: (إنَّ اللّه يعلم ما كان، وما لم يكن)، لفرطِ إبهامِها"[1].

وبناءُ (ما) يوافقُ استعمالها المتَّسع، فإنَّ مَدَّةَ الألفِ المُتَّسعة في آخرِها، تُشاكِلُ الاتِّساعَ في معناها في الأجناسِ[2]، فتظهرُ من ذلكَ عظيمُ اللَّبسِ الَّذي سيكونُ عليهم؛ إذ إنَّهم سيخفى عليهم: هل أنَّ الرَّسولَ الذي أرسل إليهم مَلَكٌ أم بَشَرٌ لِعَظيمِ اللَّبس، فأفادَ استعمالُ (ما) ودِلالَتُها المُتَّسعة على كُلِّ شَيءٍ في شكل المَلَكِ الَّذي سيظهرُ كالبَشَر تَمامًا بتمام، فيلتبس عليهم الأمرُ كلُّه، صوتُه وحركاتُه وإيماءاتُه، بل تلتبسُ عليهم حياتُه كُلُّها، فلا يُدركون أنَّه ملكٌ.

بيانُ العبرةِ المُستفادةِ مِنَ اللَّبسِ عليهم:

اللِّباسُ يعني: الشَّبيهَ في قوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ يعني: (ولشبَّهْنا عليهم ما يشبِّهون)[3]. والمعنى: أضلَلْناهُم بما ضَلّوا به قبلَ أن يُبْعَثَ الملكُ[4]، أي: لو أنزلنا إليهم ملكًا على هيئتِه لم يروه، فإذا جعلناهُ رَجُلًا؛ التبَسَ عليهم أيضًا ما يلبسون على أنفسِهم، فكانوا يقولون هذا ساحِرٌ مثلُكَ، وقال أبو إسحاق: كانوا يقولون لِضَعَفَتِهم: (إنَّما محمَّدٌ بشرٌ، وليس بينه وبينكم فرقٌ)، فَيَلبِسونَ عليهم بهذا، ويُشَكِّكونَهُم، فأعلَمَ اللّهُ تعالى أنَّهُ لو أنزل ملكًا في صورة رجلٍ؛ لوجدوا سبيلًا إلى اللَّبس كما يفعلون[5].

اللَّبْسُ على المخاطبينَ، يُظهِرُ الضّعفَ، ومحدوديَّةَ قُدرةِ البشرِ

واللَّبس يُظهر محدوديَّةَ القُدرةِ البشريَّةِ في التَّمييز بين الواقع

(1) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 1/131.
(2) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 1/131.
(3) يحيى بن سلاّم، التّصاريف في تفسير القرآن: 1/120.
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 151.
(5) النّحّاس، إعراب القرآن: 2/57.

والحَقيقةِ، فالمَلَكُ حقيقتُهُ أنَّهُ ملكٌ، ولكنَّ واقع ما سَيَكونُ عليه أنَّه سيأتي بهيئةِ بشرٍ، فيختَلِفُ الواقعُ عنِ الحقيقةِ، وقد أفادَ هذا المعنى: أنَّ كثيرًا من الحقائقِ تكونُ مغيَّبةً عن إدراكِ النّاسِ، فيأتي الوحيُ مِن عندِ اللّهِ ليكشفَ للنّاسِ عن تِلكَ الحقائقِ، فَمن آمنَ بالغيبِ؛ فقد نجى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: 3].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»